خريستولوجية الكنيسة الأولى: يسوع المسيح هو الرب

د. جورج عوض إبراهيم
دكتوراه في العلوم اللاهوتية - جامعة أثينا
وباحث بالمركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية

مقدمة:

الإشارات والصور المذكورة في العهد القديم والخاصة بشخص المسيح لديها ملمح جماعي عام "κοινοτικό χαρακτήρα" تشير إلى وجود مجموعة بشرية واحده، شعب واحد حيث سيكون المسيح بالنسبة له رئيس كهنة، وملك ونبي. كذلك كل أقوال وأعمال المسيح كان لها أيضًا الملمح الجماعي. فالمسيح لم يتحدث أبدًا بطريقة نظرية مجردة أو عن مواضيع دينية متنوعة كأنه مُعَلِم ديني، بل كرب وسيد لديه القناعة بأن رسالته كانت تتعلق تعلقًا مطلقًا مع مصائر ومستقبل البشرية في مجملها:

أ. الملمح الجماعي لتعليم المسيح

الملمح الجماعي لتعليم المسيح يعبر عنه بالحري تعليمه عن "ملكوت اللّه"[1]، إذ أنه يمثل الموضوع المركزي لتعليم المسيح. التعبير الآرامي "ملكوت اللّه" لديه مفهوم المنظومة الدستورية والسيادة، سيادة اللّه التحررية. تعليم المسيح المتعلق بملكوت اللّه يخص شعب يقبل أن يحيا تحت سيادة اللّه، لأن السيادة التحررية التي يمثلها المسيح لا توجد في فراغ، بل تُمَارس في مجموعة بشرية محددة. بالتالي، تعليم المسيح عن الملكوت يستلزم نطاقًا للسيادة، أي وجودًا وخلق جماعة بشرية لشعب[2]: "وأما شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف وربوات ربوات يصنعون إرادتك" (القداس الباسيلي أوشية الاجتماعات).

[1] V. kesich, *The Gospel: Image of Christ*, St.Vladmir Seminany press, 1992, p.183.
[2] A. M. Hunter, *The message of the New Testament*, Philadelphia, the Eestminster press, 1954, PP. 53-54.

ب. الملمح الجماعي لأمثلة المسيح

المسيح في تعاليمه بالأمثلة قدَّم ذاته على هيئة وعمل راعي الخِراف (انظر: مت١٨: ١٢؛ يو١٠: ١٠ ـ ١٦). مفهوم الراعي في حد ذاته يستلزم وجود رعية. راعٍ بدون رعية لا يمكن أن يدرك. إن المسيح يُعطي ـ في هذا المثل ـ لذاته خاصية الراعي ولعملِه الرعوي يعطي الملمح المسياني، أي رسالته هي أن يُجمِّع ويُخلِّص شعب الله (انظر على سبيل المثال الإشارات النبوية المتماثلة في الخاصية الرعوية ورسالة المسيح: حز٣٤: ١٢؛٢٣؛١٦؛ مي٤: ٥).

الملكوت مثل حبة الخردل الوارد في (مر٤:٣٠ ـ ٣٢) له أيضًا ملمح جماعي، لأنه فيه يعلن أن تعليم المسيح وخاصة الإيمان بشخصه سوف يكون لديه كنتيجة خلق "شجرة كبيرة"، على فروعها سوف تستظل طيور السماء (انظر أيضًا "مثل الشبكة"مت١٣:٤٧). هكذا: "الحبة الصغيرة هي حالة حضور ملكوت الله، بينما الشجرة الكبيرة، هي الملكوت الآتي العتيد"[٣].

ج. تأسيس مجموعة التلاميذ الاثني عشر

اعتبر يسوع، بكونه راعٍ وملك لشعب، أن عمله المباشر هو تأسيس نواة لهذا الشعب. وقد سبق وأعلن يسوع ملكوت الله وكوَّن جماعة جديدة، نواة لإسرائيل الجديد، التي بدأت توجد وتحيا في أيام حضور المسيح على الأرض. لقد بدأ إعادة إصلاح إسرائيل بدعوة الاثني عشر، وموقفه تجاه النساء لم يكن مثل موقف التقليد الرابوني ـ الذي كان عدواني تجاه النساء. لقد قَبِلَ المسيح توبتهم وشفاهم والنساء كُن يتبعنه حيثما ذهب، وموقفه تجاه النساء هذا كان علامة لعصر جديد قد دُشن بمجيء يسوع[٤].

هكذا دعا الاثني عشر تلميذًا ونظمهم وقادهم شخصيًا في مسيرة تربوية لكي يكونوا المجموعة الأولى لشعب ملكوت الله. وإهتمام المسيح الأساسي أثناء فترة عمله على الأرض كان التعليم العملي والنظري للمجموعة الأولى

---

[3] Kesich, *op. cit.*, p.186.
[4] Kesich, *op. cit.*, p.191.

لملكوت الله. لقد أعلن لهم بعد القيامة وقبل صعوده أن تكليفهم الرسمي من الله الآب كان مسألة أيام قليلة فقط. وحقًّا، بعد خمسين يومًا من قيامته وعشرة أيام بعد صعوده إلى السموات، قَبِلَ التلاميذ الاثنا عشر ووالدة الإله الروحَ القدس بهذه الطريقة المؤثرة، قد تم الاعتراف بالتلاميذ ووالدة الإله وصاروا رسميين، كمجموعة أولى ونواة لملكوت الله. وصار التلاميذ الاثني عشر، بالحري، أحجارًا أساسية لبناء الكنيسة الروحي، حيث وفق وعد المسيح، لم تستطِع أبواب الجحيم أن تقوى عليهم. لأجل هذا بالضبط، عندما بدأ التعليم اللاهوتي يُعبّر عنه ويكتب ويُسجَّل، دُعيت الكنيسة "رسولية".

٢. يسوع المسيح هو الرب:

لقد تأسست، بعد يوم الخميسين وفي العظة الأولى التي كرز بها بطرس الرسول (انظر أع٢: ١٤ ـ ٣٦)، الجماعة المسيحية الأولى ومقرها كرسي أورشليم الذي كان يضم بالفعل ثلاثة آلاف عضو. تأتي كل المعلومات عن الكنيسة الأولى ـ كما هو معروف ـ من نصوص العهد الجديد الأكثر قِدمًا ورسائل الرسل وأعمال الرسل خاصة من رسائل بولس الرسول. هكذا المعلومات التي نجمعها من هذه النصوص، تُعطينا أيقونة كاملة عن الخريستولوجي في الجماعة المسيحية، الكنيسة الأولى:

أ. اسم وشخص المسيح

العلامة المركزية للحياة الروحية وقوة الكنيسة الأولى هي إخلاص أعضائها لشخص و"اسم المسيح"(انظر رو١٠: ٩). القادمون إلى الإيمان الجديد يعتمدون على "اسم المسيح"(انظر: أع٢: ٣٨؛ ٨: ١٦). الرسل كانوا يتممون معجزات في "اسم المسيح"(أع٣:١٦). الجماعة الأولى التي تشكلت في أورشليم كانت تُصلي ليسوع المسيح (أع٧: ٥٩). الأولون الذين قَبِلوا الإيمان بالمسيح في أنطاكية نالوا سر المعمودية واخذوا اسم المسيح ودُعيوا "مسيحيين" (من النموذج اللاتيني لاسم يسوع المسيح "Christus" والصفة Christianus).

ب. ألقاب واسماء المسيح

صار حضور الجماعة الكنسية الأولى بسرعة جدًّا محسوسًا في أورشليم والقيادة الدينية للمكان التي بالفعل كانت مسؤولة عن إدانة وتنفيذ الحكم على المسيح. وبدأت هذه القيادات تواجه، في البداية بارتياب وبعد ذلك بعداوة، مجموعة "الطريق" هذا، مثلما وصفوا المسيحيين (انظر أع٩: ٢). إننا نجد في الفصول الأولى لأعمال الرسل حديثًا متسعًا عن موقف القيادة الدينية السلبي والعدائي (أع٤: ١٢)، والذي وصل إلى القمة بالقبض على رئيس الشمامسة إسطفانوس والحكم برجمه وتنفيذ هذا الحُكم. لقد كان إسطفانوس الأول الذي خلف المسيح في آلامه وموته الشهادي. لأجل هذا، على الجانب الآخر، وعن حق سُميَّ "أول الشهداء أو الشهيد الأول" (أع٦: ١٢). أيضًا بعد تنفيذ الحكم على إسطفانوس، بفترة وجيزة حُكِم على الرسول يعقوب (أخي) يوحنا الإنجيلي بالموت (انظر أع١٢: ٢).

هذا المُناخ العدائي أجبر الجماعة الكنسية أن تكون حريصة جدًّا تجاه الخارجين. مثل هذا الموقف يبدو مبكرًا جدًّا بأن بدأ المسيحيون يستخدمون شعارات وكلمات رمزية ورموز كان لها محتوى خريستولوجي وانتشرت تدريجيًّا في كل الجماعات الكنسية في ذلك العصر المبكر، على سبيل المثال في روما ومن الحروف التي استخدمها المسيحيون كانت ΙΧΘΥΣ من عبارة: "Ἰησοῦς Χριστός Θεοῦ Υἱός Σωτῆρ' يسوع المسيح ابن الله المخلص"، وشكل السمكة، وشكل الصليب..إلخ.

أيضًا كلمة واحدة استخدمها المسيحيون الأولون في أورشليم كشعار حيث كانوا يتحدثون بالآرامية كانت الكلمة الآرامية "ماران Maran أي الله" (أع٧: ٥٩؛ ١كو١٤: ٢٢). الجدير بالذكر، أن الإسرائيليين استخدموا مصطلح "Mar أو Maran = θεός" بمفهوم المصطلح الديني بشكل مطلق. لأجل هذا أيضًا الترجمة السبعينية أعطت لهذا المصطلح الاسم اليوناني "Κύριος" أي الرب (كيريوس)، مثلما فعلت مع المصطلحين العبريين عن الله "Adon و Jahve" بدأ أولاً التلاميذ ينسبون للمسيح لقب الرب "Κύριος"،

وبعد ذلك كل الكنيسة الأولى، أثناء حضوره على الأرض، وكذلك بالحري أخذ مصطلح كيريوس "Κύριος" محتوى خريستولوجيًّا تمامًا بعد موت وقيامة المسيح (انظر أع٢: ٣٦). إن لقب "Κύριος" بالمفهوم الخريستولوجي أُعطيَّ بعد إخلائه وحتى موته (انظر فيليبي٢: ٩).

المصطلح اليوناني القديم "Κύριος" وبالعبري "Adon أو Mar" اُستخدم سواء بالمفهوم الديني المطلق بمعنى "Θεός ـ الله" أو بالمفهوم العام لكلمة "Κύριος" (على سبيل المثال: Ὁ Κύριος Χριστός: أي الرب المسيح) أو مفهوم الملكية "Κύριος τοῦ οἴκου ـ رب البيت". بالنسبة للرومان سُميَّ "Dominus" الإمبراطور بلقب "Κύριος". في الشرق عامة يُعبَّد الإمبراطور بكونه "Θεός ـ الله" أو "ابن الله". ففي آسيا الصغرى حين يقولون يوم ميلاد "الله" يقصدون يوم ميلاد أغسطس... بالنسبة للإمبراطوار استخدم لقب "Κύριος ـ الرب"[٥]. إذن بأي مفهوم من هذه المفاهيم أعطى التلاميذ والمسيحيون الأولون للمسيح لقب "Κύριος ـ الرب"؟ ينبغي علينا أن نرى الأهمية الخريستولوجية لهذا اللقب لكي نجيب على هذا السؤال.

٣. الأهمية الخريستولوجية لمصطلح كيريوس "Κύριος"

أ. في الكنيسة المسيحية الأولي

من الواضح أن التلاميذ والمؤمنين في الكنيسة الأولى قد استخدموا مصطلح كيريوس "Κύριος" بالمفهوم الديني المطلق، أي بمفهوم أنه هو الله الذي له العبادة والسجود: المسيح هو الرب. هذا يبدو بوضوح في اعتراف توما (يو٢٠: ٢٨): «أَجَابَ تُومَا وَقَالَ لَهُ: رَبِّي وَإِلهِي!»، وكذلك في تعبير الكنيسة الأولى، الذي ذكرناه، حيث المسيح يُدعا ويُوصف بكونه الرب "Κύριος" (١كو٨: ٥؛ ١: ٣؛ رو١٠: ٩). أيضًا الإنجيلي لوقا ينسب للمسيح لقب "Κύριος" الرب بالمفهوم المطلق للمصطلح:

---

[5] Σ. Αγουρìδη, *Ιστορìα τῶν χρόνων τῆς Κ. Διαθηκης*, ἔκδ. πουρναρᾶς, Θεσσοιλονìκη 1982, σελ. 227-233.

«وَبَعْدَ ذلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضًا ، وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُومُزْمِعًا أَنْ يَأْتِيَ» (لو١: ١٠)، «فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: أَنْتُمُ الآنَ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ، وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا وَخُبْثًا» (لو١١: ٣٩)؛ «فَقَالَ الرَّبُّ: فَمَنْ هُو الْوَكِيلُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي يُقِيمُهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الْعُلُوفَةَ فِي حِينِهَا؟» (لو١٢: ٤٢)؛ «فَقَالَ الرُّسُلُ لِلرَّبِّ: زِدْ إِيمَانَنَا!. فَقَالَ الرَّبُّ: لَو كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل، لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذِهِ الْجُمَّيْزَةِ: انْقَلِعِي وَانْغَرِسِي فِي الْبَحْرِ فَتُطِيعُكُم» (لو١٧: ٥ـ٦)؛ «وَقَالَ الرَّبُّ:اسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَاضِي الظُّلْم» (لو١٨: ٦)؛ «فَوَقَفَ زَكَّا وَقَالَ لِلرَّبِّ: هَا أَنَا يَارَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ» (لو١٩: ٨)؛ «فَالْتَفَتَ الرَّبُّ وَنَظَرَ إِلَى بُطْرُسَ، فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلاَمَ الرَّبِّ، كَيْفَ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ» (لو٢٢: ٦١)؛ «وَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسِمْعَانَ!» (لو٢٤: ٤٣)؛ «فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا ، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا» (أع٢: ٣٦)؛ «هذَا أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَعْطَى أَنْ يَصِيرَ ظَاهِرًا ، لَيْسَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ، بَلْ لِشُهُودٍ سَبَقَ اللهُ فَانْتَخَبَهُمْ. لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الأَمْوَاتِ. وَأَوْصَانَا أَنْ نَكْرِزَ لِلشَّعْبِ، وَنَشْهَدَ بِأَنَّ هذَا هُو الْمُعَيَّنُ مِنَ اللهِ دَيَّانًا لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ» (أع١٠: ٤٠ـ٤٢)؛ «نَحْنُ نُبَشِّرُكُمْ بِالْمَوْعِدِ الَّذِي صَارَ لآبَائِنَا ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَكْمَلَ هذَا لَنَا نَحْنُ أَوْلاَدَهُمْ، إِذْ أَقَامَ يَسُوعَ كَمَا هُومَكْتُوبٌ أَيْضًا فِي الْمَزْمُورِ الثَّانِي: أَنْتَ ابني أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. إِنَّهُ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، غَيْرَ عَتِيدٍ أَنْ يَعُودَ أَيْضًا إِلَى فَسَادٍ، فَهكَذَا قَالَ: إِنِّي سَأُعْطِيكُمْ مَرَاحِمَ دَاوُدَ الصَّادِقَةَ. وَلِذلِكَ قَالَ أَيْضًا فِي مَزْمُورٍ آخَرَ: لَنْ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا» (أع١٣: ٣٢ ـ ٣٥).

نمو مصطلح "Κύριος ـ الرب" صار في نطاق الجماعة المسيحية الأولى وخاصة في الحياة التعبدية للكنيسة الأولى، كما يُشهَّد له من التعبير التعبدي: «الرب آتي» أو «الرب قريب» (في٤: ٥) أو «تعال أيها الرب يسوع»

(رؤ٢٢: ٢)[٦]. إن كُتَّاب أسفار العهد الجديد يعبرون عن رؤيتهم الخريستولوجية العامة للمسيح. وبالرغم من أنهم يشيرون بكل تأكيد وثبات على بشريته، إلا أنه في الوقت نفسه يؤمنون بأنه اللّه ويقرّون بأن "المسيح هو الرب". هذه التسمية بالنسبة لهم تعني أن المسيح كان المحُرر الإلهي الذي وَعَدَ به اللّه بأنه سوف يرسله لأجل أن يحرر الشعب، إنه شخص فريد وله سلطان دائم. لقد كان يوجد أنبياء كثيرون، لكن المسيح كان هو الواحد والوحيد الذي لا يوجد له نظير[٧].

ب. المسيح هو ربنا "Κύριος ἡμῶν"

في واحدة من التعبيرات الخريستولوجية للكنيسة الأولي، سُميَّ المسيح بربنا "Κύριος ἡμῶν"، أي انحصر في ضمير نحن: «رَجُلَيْنِ قَدْ بَذَلاَ نَفْسَيْهِمَا لأَجْلِ اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (أع١٥: ٢٦)؛ «وَتَعَيَّنَ ابن اللّهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا» (رو١: ٤)، «إِلَى كَنِيسَةِ اللّهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ، الْمُقَدَّسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الْمَدْعُوِّينَ قِدِّيسِينَ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَهُمْ وَلَنَا» (١كو١: ٢). بهذا التعبير، اعترف المسيحيون بأن المسيح، بالنسبة لهم، لم يكن مجرد إله بل المخلص الشخصي ومحررهم، وبالتالي كان الرب الخاص بالنسبة لهم، وله السيادة على حياتهم (انظر عبارة: "عبد يسوع المسيح" (رو١: ١). وهذا يسري على كل مؤمن وأيضًا أعضاء الكنيسة في مجملهم «وَلكِنَّنَا فِي هذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا» (رو٨: ٣٧). «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابن اللّهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي» (غلا٢: ٢٠).

---

[٦] هذا المصطلح نجده في كتاب الديداخي ΒΕΠΕΣ2, 218 .

[7] Hunter A.M., *The message of the New testament*, Philadelphia, the Eestminster press, 1954, P.40.

«الَّذِينَ نَحْنُ أَيْضًا جَمِيعًا تَصَرَّفْنَا قَبْلاً بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ ابناءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضًا، اَللهُ الَّذِي هُو غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ - بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ - وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (أف٢: ٣ - ٧).

هنا نتذكر إيمان الكنيسة الأولى العميق وغير المتزعزع والموقف البطولي للمسيحيين والمضطهدين في الثلاثة قرون الأولى. بالنسبة للمسيحيين: "Κύριος - الرب" كان هو واحدًا فقط (انظر مت٦: ٢٤) «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَو يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ». هو المسيح وليس الإمبراطور! كل الخاضعين للإمبراطورية الرومانية كانوا يركعون في سجود تعبدي لاسم الإمبراطور. لكن المسيحيون فقط لم يركعوا. لقد فضّلوا أن يُلقوا إلى الأسود وآتون النار، مثل الثلاثة فتيه عن أن يسجدوا لرب آخر، سجودهم كان فقط للمسيح. والجدير بالملاحظة، أن المسيحيين لم يمضوا ناحية الشهادة على أساس أن المسيح سوف ينقذهم مثلما فعل للفتية الثلاثة، لأنهم ببساطة كانوا يرون إخواتهم يستشهدون أمام أعينهم.

نود الآن أن نذكر شهادتين ذكرهما E.Muhlenberg - في مقالة له عن ألوهية المسيح وعن إيمان الكنيسة بأن يسوع المسيح هو الرب - لاثنين من أعداء المسيحية، الأول هو الحاكم بليني والثاني هو الأديب والمؤرخ تاسيتوس.

يُقدم الحاكم بليني في رسالته المعروفة جيدًا (Ep.x 96) تقريرًا للإمبراطور تراجان عن المسيحيين الذين أُحضروا إليه للمحاكمة، فيقول: "أولئك الذين يتمسكون باعترافهم أنهم مسيحيون، قد حكمتُ عليهم. فليس لدي أي شك أن عنادهم وثباتهم الذي لا ينكسر ينبغي أن يُعاقب مهما كان الاعتقاد الذي يعترفون به". ويستنتج من ذلك أن تصرفهم كان دربًا من الجنون. ثم يُعذب اثنين من الشمامسة، لأنه يريد أن يعرف منهما معلومات أكثر عن الجماعة

المسيحية ولا تظهر في الرسالة أيه معتقدات لاهوتية، بل تظهر فقط بعض المعلومات عن عادات الجماعة. وبالاختصار يقول: "لم أجد خرافات طفولية، النقطة الوحيدة البارزة فيما يتصل بموضوعي هي الإشارة إلي أن المسيحيين يجتمعون في الصباح الباكر، ويسبحون المسيح على أنه الإله". وقد يزعم البعض أن الإمبراطور كان على دراية تامة فيما يخص المسيح، الذي قتله الرومان بأشنع طريقة ممكنة منذ بضعة عقود. ولكني أظن أن هذا غير محتمل. بالحري فإن بليني يعرف شيئًا آخرًا، وهذا سيبدو أنه معزي للجميع. حيث إن بليني يرى أنه ليس هناك احتياج لأن يشرحه: وهو أن المسيحيين قد أحضروا إليه، متهمين بكونهم مسيحيين. وعملية المحاكمة تستلزم منه أن يقيّم الاتهام، وإذا وافق عليه يحكم على المتهمين بكونهم مسيحيين. أما بخصوص مَنْ هم المسيحيون أوماذا يفعلون؟ هذا أمر لا أهمية له. ومع ذلك فإن بليني يعرف ماذا يعني أن يكون الإنسان مسيحيًّا. فهو يقدم امتحانًا للذين ينكرون الاتهام، إذ ينبغي أن يقدموا ذبيحة للآلهة ولتمثال الإمبراطور. وأضاف، لذلك ينبغي أن يلعنوا المسيح صراحة إذ يكتب قائلاً: "إن المسيحيين المخلصين لا يفعلون هذه الأمور حتى لو أُجبروا بالقوة"[٨]. هكذا بليني يدرك جيدًا حقيقة أن المسيحيين يحبون المسيح باعتباره الإله الوحيد، مستبعدين كل الآلهة الأخرى، أي يرفضون آلهة الديانة الرومانية. وهذا هو العِناد المتعصب، كما يراه بليني، أي أن ألوهية يسوع تستبعد كل الآلهة الأخرى.

أما تاسيتوس، في الوقت نفسه الذي كان فيه بليني حاكمًا تقريبًا، يزودنا بملحوظة عن المسيحيين. وكما هو معروف جيدًا فإن تاسيتوس يكتب عن الحكم على المسيحيين في قضية الحريق الضخم الذي اكتسح روما أثناء حكم الإمبراطور نيرون، فيقول تاسيتوس: "إن لقب مسيحي مستمد من المسيح، وهذا المسيح قد حُكِم عليه منذ فترة طويلة في عهد طبياريوس Tiberius، ورغم ذلك فإن تلك الشعوذة الخبيثة لم تتلاش بموت يسوع، بل بالعكس فإنها ظهرت مرة أخري في روما. ورغم أنه لم يكن يوجد إثبات أن

[8] E. Muhlenberg,Gotingen,The Divinity of Jesus in Early Christian Faith, *Studia Patristica*, vol.xvii Part One.Pergamon Press, 1982, p. 139

المسيحيين متورطون في حريق روما، فقد أُعدموا وهذا صواب: بسبب كراهيتهم لجنس البشر"[٩]. ويعطي تاسيتوس وصفًا لكراهية البشر حينما يتحدث عن اليهود: "إنهم تحت سيطرة الشعوذة (His.5.4). وموسى أتى إليهم بطقوس جديدة ضد كل ما عند البشر الآخرين (His.5.4). اليهود يرفضون الديانات الأخرى (5.13). فما هو مقدس عندنا هو تجديف بالنسبة لهم والعكس بالعكس (5.4). اليهود يفرزون أنفسهم ويغلقون على أنفسهم مبتعدين عن الجنس البشري (5.5). إنهم يعبدون كائنًا، إلهًا واحدًا فقط، وهو وحده روح، بينما هم يعتقدون أن كل من يصنعون صورًا للآلهة يرتكبون فعل تدنيس". ويقول تاسيتوس: "لذلك هم لا ينصبون تماثيل للآلهة في مدنهم، ولا حتى في هيكلهم، بأن يعبدوهم بإعتبارهم عبيد لهؤلاء الملوك، ولا يقدمون الإكرام الواجب للإمبراطور بأن يعبدوه"(5.5).

إن حديثه عن اليهود والمسيحيين يبيِّن أن لهما نفس الخصائص، ويشير تاسيتوس أن خرافة المسيحيين الخبيثة أتت من اليهودية. واليهود يتميزون بخرافتهم الخطرة، وهي تتضمن الاعتقاد بإله لا صورة له، وهذا يؤدي في نهاية الأمر إلى رفضهم تقديم الإكرامات الواجبة للإمبراطور ويمكن أن نخمن أن تاسيتوس ينسب شيئًا مماثلاً للمسيحيين، رغم أنه لا يقول هذا صراحة أي أن سبب كراهية المسيحيين للبشر هو استبعادهم لكل الديانات الأخرى غير ديانتهم وهو ما أخذوه عن المسيح مؤسسهم[١٠].

إن الاعتراف بأن "يسوع المسيح هو الرب" يصادر أي ادعاء بأن أحدًا آخر هو الرب، مستحيل أن يكون قيصر هو الرب. وبسبب هذه الشهادة الحسنة بأن يسوع هو الرب قد استشهد كثير من المؤمنين. وهذا الموقف قد أدهش الإمبراطور الذي وقف أمامه بوليكاربوس الشهيد وتساءل: "لماذا هو أمر مرعب أن يعترف أحد قائلاً: قيصر هو الرب، مفضلاً أن يقدم نفسه ذبيحة من

[9] Cf. Herald Fuchs, *Der Berichtuber de Christen in den Annalen dos Tocitus*, Vigiliae Christianae 4 (1950), pp.: 65-93.
[10] E. Muhlenber, *op. cit.*, pp.: 139-140.

أجل هذه الشهادة؟!"[11]. لذلك يتساءل ترتليان متهكمًا: "حقًّا أتؤمن أنه من المسموح لأحد من المسيحيين أن يقسم أمام شخص عادي ضد قسمه أمام إلهه ويرتبط برب آخر، في اللحظة التي فيها هو بالفعل ارتبط ارتباطًا أبديًا بالمسيح؟!"[12].

العائق الذي يعوق المسيحيين عن الاعتراف برب آخر هو إيمانهم برب واحد هو الرب يسوع. هذا الاعتراف الموجز بأن "يسوع هو الرب" يصبغ أي اعتراف مسيحي للإيمان. والرسالة إلى رومية لبولس الرسول تؤكد هذه الحقيقة: «لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت» (رو١٠: ٩). فالمسيح الرب هو مركز أي اعتراف للإيمان. لدرجة أن الإيمان حُدد بأنه إيمان بالرب:

«بُولُسُ الْمَدْعُوُّ رَسُولاً لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ اللهِ وَسُوسْتَانِيسُ الأَخُ إِلَى كَنِيسَةِ اللهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ الْمُقَدَّسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ الْمَدْعُوِّينَ قِدِّيسِينَ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَهُمْ وَلَنَا» (١كو١: ٢)؛ «فَكَمَا قَبِلْتُمُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ الرَّبَّ اسْلُكُوا فِيهِ (كو٢: ٦)؛ «فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا اجَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبًّا وَمَسِيحًا» (أع٢: ٣٦)؛ «الْكَلِمَةُ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ يُبَشِّرُ بِالسَّلاَمِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. هَذَا هُوَ رَبُّ الْكُلِّ» (أع٩: ٣٥)؛ «وَلَكِنْ كَانَ مِنْهُمْ قَوْمٌ وَهُمْ رِجَالٌ قُبْرُسِيُّونَ وَقَيْرَوَانِيُّونَ الَّذِينَ لَمَّا دَخَلُوا أَنْطَاكِيَةَ كَانُوا يُخَاطِبُونَ الْيُونَانِيِّينَ مُبَشِّرِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ» (أع١١: ٢٠).

إن الاعتراف بالرب يسوع الوارد في العهد الجديد نستطيع أن نربطه بالاضطهادات والشهادة. وبالرغم من أن نص بولس الرسول الوارد في (١كو١٢: ٣): «لذلك أعرفكم أنه ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع: أناثيما. وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس». لم يفسرها المفسرون على أنها مرتبطة بالشهادة أثناء الاضطهادات، إذ إنها في

---

[11] انظر شهادة بوليكاربوس٨: ٢.

[12] De Coroma Mil, II.

مجال حديث بولس عن موهبة الألسنة، إلا أننا نستطيع أن نربطهما بالشهادة. إذ أن الروح القدس يكون حاضرًا أوقات الاضطهادات: «ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب. فكونوا حكماء كالحيات وبُسطاء كالحمام ولكن احذروا من الناس. لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم. وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم. فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون. لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون. لأنكم لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم» (مت١٠: ١٦ ـ ٢٠).

على الجانب الآخر، نقرأ في شهادة بوليكاربوس (٩: ٣)، حيث قال: "كيف أجدف على ملكي الذي خلصني؟!" وكذلك ـ كما رأينا ـ رسالة الحاكم بليني إلى الإمبراطور تراجان: "بأن المسيحيين تلقوا أمرًا من الرؤساء بأن يجدفوا على المسيح. ولم يكن كافيًا ومرضيًا أن يقدم المرء ذبيحة ويقول: قيصر هو الرب، بل على المسيحيين أن يقولوا أن المسيح أناثيما".

وهذا يوضح ما قاله بولس «ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما» (١كو١٢: ٣). فبالرغم من أن المضطهَد ينال قوة من الروح القدس الذي يُعينه على الإجابة والاعتراف الحسن أمام الرؤساء، بيد أنه في حالات كثيرة يقول المضطهَد الذي فقد شجاعته يسوع أناثيما، متحججًا بأن الروح القدس أخبره بأن يقول ذلك. لذا يقول بولس ـ مضاد لقول هؤلاء ـ بأن من يقول يسوع أناثيما ليس فيه روح الله.

ج ـ المسيح هو رب التاريخ:

مصطلح "Κύριος ـ الرب" في تعبير الكنيسة الأولى كان له أهمية أُخروية. فإيمان الكنيسة ـ كان وما يزال ـ أن المسيح، بالرغم من أنه «غلب العالم» (يو١٦: ٣٣)، إلا أن الإعلان الأخير في نهاية التاريخ لم يتم بعد. إيمان الكنيسة هذا كُرِزَ بالفعل في سفر الرؤيا حيث مصطلح "Κύριος ـ الرب" ذُكِر ٢١ مرة. فالمسيح في سفر الرؤيا يُعلن أنه «الألف والياء، البداية والنهاية» (رؤ٢٢: ١٣). يذكر سفر التكوين، الكتاب الأول للإعلان الإلهي، أن المسيح

هو بداية العالم والتاريخ: «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ» (تك١: ١) و«فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ» (يو١: ١). ويؤكد رؤيا يوحنا، الكتاب الأخير للإعلان الإلهي، على أن المسيح سيكون الغالب الحقيقي والملك والرب لكل التاريخ: «ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤ١٩: ٦؛ وانظر في٢: ١٠ ـ ١١).

د ـ المسيح رب العبادة المسيحية:

تستخدم الكنيسة المسيحية مصطلح "Κύριος ـ الرب" ليس فقط في الشكل الأول لعبادتها، كما في تعبير ماران آثا، لكن في كل أشكال نصوصها الليتورجية: في الصلوات وتسابيح العبادة الأرثوذكسية، ويذكرونه في المفهوم الخريستولوجي والأمثلة لا تُحصى. أيضًا، الأيقونات الأرثوذكسية تعبر عن المفهوم الأساسي لمصطح "Κύριος ـ الرب" خاصة في الأيقونات السيدية مثل أيقونة ضابط الكل (παντοκράτορος) والمسيح الجليس على العرش. أيقونة ضابط الكل رُسمت في قبه الهيكل الداخلية والتي ترمز إلى السماء بإظهار أن المسيح هو رب الكون «ضابط الكل» (٢كو٦: ١٨؛ رؤ٤: ٨). وأيقونة المسيح على العرش تُوضع على حامل الأيقونات في الموضع الأول وعلى العرش السيدي ترمز إلى ربوبية المسيح على الكنيسة.

أصبح من الضروري أن يعترف المرء بإيمانه في كل اجتماع للجماعة المسيحية الأولى وفق نص محدد. يعترف المؤمن مع إخوته أمام الله بأنه وحدَّهم معه. إنها عمل تعبدي ليتورجي كان موجودًا في المجمع اليهودي حين يُعلن بواسطة شخص (Shema) معترفًا مع كل شعب إسرائيل بأن واحد هو الله[١٣]. اعتراف الإيمان يُقال في الليتورجيا الإلهية وأيضًا كل عمل ليتورجي في الجماعة المسيحية الأولى (قوانين هيبوليتس).

صيغة من صيغ اعترافات الإيمان الأولى والتي كانت تُقال في عبادة الكنيسة الأولى هو بلا أدنى شك نص بولس الرسول المذكور في (في٢: ٦ ـ

[١٣] انظر تث٦: ٤.٩؛ ١١: ١٣.٢١؛ ١٥: ٣٧.٤١.

١١)[١٤]: «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ». هذه الترنيمة هي مثل مزمور أو نشيد مسيحي لم يكتبه بولس بل أخذه من الجماعة المسيحية الأولى. إنه نشيد اعتراف إيماني بالمسيح في شكل ذات رتم، ترجع مصادره ـ من الواضح ـ إلى الكتابات الآرامية. ويشير هذا النشيد لإخلاء المسيح وظهوره كإنسان عادي وتواضعه وموته فوق الصليب وكذلك مجده ومجيئه.

إن مصطلح "يَعتَرف" هو بمثابة اختيار إرادي ومذكور في (إشعياء٤٥: ٢٣) والنتيجة هي أن قمة اعتراف الإيمان هو أن "يسوع المسيح هو الرب" يُعترف به من الجميع في نفس الوقت، يعترف به من كل الموجودين في السماء، وفي الأرض والذين هم تحتها. على أية حال فإن هذا الاعتراف كان يُقال عن يسوع وأن اعتراف الإيمان هذا كان اعترافًا موجزًا.

هذا هو ما يميز الرسالة المسيحية في الكنيسة الأولى، فالإيمان في المسيحية هو الإيمان بالمسيح الرب، لأنه هو الطريق والحق والحياة، هو طريقنا إلى الآب وهو الذي أرسل لنا الروح القدس المحيِّي الذي يعلمنا كل الحق. هذا الاعتراف يُدعى اعترافا أحاديًّا أي الاعتراف بشخص المسيح ثم يأتي بعد ذلك الاعتراف باللّه الآب الخالق ثم بالروح القدس؛ أي الاعتراف الثنائي والاعتراف الثالوثي.

وهذا لا يعني أن الكنيسة اعترفت بالثالوث في وقت متأخر، لكن منذ البداية تؤمن بالثالوث الآب والابن والروح القدس. ولكن لَمَنْ يدخل إلى المسيحية لا بُد أن يَعتَرف أولاً بالمسيح الذي هو الباب والطريق الذي يؤدي إلى

[١٤] انظر إش ٤٥:٢٣.

صُنع شركة مع الآب والروح القدس. يقول القديس كيرلس عمود الدين: "الآب لا يمكن أن يُقترب منه إلاّ بهذه الطريقة، أقصد أنه لا يمكن الاقتراب منه إلا بواسطة الابن. لأنه حقًّا صادقةً هي الكلمة: «ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (يو١٤: ٦). ويمكننا أن نؤكد أنه حتى القديسين، إنما يقتربون إليه بواسطة المسيح. لأنه لا يمكن لأحد أن يرتقي إلى معاينة سامية وفائقة للطبيعة. وكأنه يصعد إلى جبل، وبالأحرى لا يمكنه أن يوجد بالقرب من الله إن لم يكن متحدًا مع عمانوئيل، وهكذا لا يكون هناك ما يعوق مسيرة البشر للاقتراب إلى الآب"[١٥]. هذا هو جوهر الإيمان المسيحي منذ البداية: الإيمان أولاً بالمسيح الرب ثم بعد ذلك يقودنا المسيح إلى الشركة مع الآب والروح القدس والانضمام إلى الكنيسة جسد المسيح.

[١١] القديس كيرلس الإسكندري، *العبادة بالروح والحق*، ترجمة د.جورج عوض ابراهيم مراجعة د.نصحي عبد الشهيد، الجزء السادس المقالة العاشرة، المركز الأرثوذوكسي للدراسات الآبائية يوليو ٢٠٠٧م، ص١١.١٢.